التّعليل البلاغي عند القرطاجنّي

م. م. سجى فرحان عساف عبود الفهداوي

جامعة الأنبار – كلية الهندسة

Saja.farhan@uoanbar.edu.iq

تاريخ الاستلام 2025/8/2 تاريخ القبول 2025/9/12 تاريخ النشر 2025/12/22

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة التّعليل البلاغي لدى واحد من أهمّ أعلام البلاغة العربيّة وهو حازم القرطاجني الذي حاول بناء نظريّة بلاغيّة جديدة تتوجّه بالبلاغة إلى الاهتمام بالشّعر وتحديد خصائصه، وحاول البحث بيان مفهوم التّعليل البلاغي؛ وذلك من خلال الوقوف على المعاني اللغويّة والاصطلاحيّة لمفردتَي التّعليل والبلاغة، وبيان كيفيّة حضوره لدى القرطاجني من خلال عرض نماذج من تعليلاته البلاغيّة معتمدين في ذلك المنهج الوصفي التّحليليّ، وانتهى البحث إلى جملة من النّتائج كان من أبرزها بيان الحضور اللافت لظاهرة التّعليل البلاغي في نتاج القرطاجني، وقد اتجه في تعليلاته إلى ما يحقق شعريّة النّص على أساس التّخييل الذي يعدّ العلّة البلاغيّة الأبرز في البلاغة الحازميّة.

الكلمات المفتاحيّة: التّعليل، البلاغة، التّخييل، حازم القرطاجني.

Rhetorical Reasoning in the Carthaginian Language

Saja Farhan Assaf Abboud Al-Fahdawi

University of Anbar - College of Engineering

Abstract:

This research deals with the phenomenon of rhetorical justification in the work of one of the most important figures in Arabic rhetoric, Hazem Al-Qartajani, who tried to build a new rhetorical theory that directs rhetoric to focus on poetry and defines its characteristics. The research tried to clarify the concept of rhetorical justification, by examining the linguistic meanings. The terminology of the two terms, explanation and rhetoric, and explaining how it was present in the Carthaginian by presenting examples of his rhetorical explanations, relying on the descriptive analytical method. The research concluded with a set of results, the most prominent of which was explaining the striking presence The phenomenon of rhetorical justification in al-

Qartajani's work is striking. His justifications focus on achieving poetic quality through imagination, which is the most prominent rhetorical factor in Hazimian rhetoric.

Keywords: Justification, Rhetoric, Imagination, Hazim Al-Qartajani.

المقدّمة:

تمثّل ظاهرة التّعليل البلاغي واحدة من الظّواهر التي حضرت في مؤلّفات علماء البلاغة على مرّ العصور؛ غير أنّ حضورها كان بمقتضى الحال من دون تنظير أو تحديد يبيّن ماهيتها، وقد حضر التّعليل في مختلف العلوم، وكانت الإشارة إليه عابرة؛ فهو ظاهرة تقتضيها العلوم على اختلافها. وكانت العلل البلاغيّة تظهر في كتب البلاغة بشكل مباشر أو غير مباشر؛ وقد اتّخذ البلاغيّون توجّهات متعددة في تعليلاتهم البلاغيّة؛ وقد برز إلى الواجهة حازم القرطاجنّي[1] من خلال ما ورد في منهاجه الذي حاول من خلاله تأسيس نظريّة بلاغيّة تحدد شعريّة النّص؛ و"هذا الكتاب الذي سعى فيه حازم إلى بناء نظريّة شعريّة يعالج فيها بناء الشّعر العربي، وإعطائه المنهج المثالي لبناء القصيدة العربيّة، وذلك بإعادة النّظر في كثير من القضايا البلاغيّة والنّقديّة بعدما فسد الطّبع الشّعري واختلّ نظمه وقلّ المهتمون بصناعته وسوء فهمهم طبيعة الشّعر ووظيفته، فكان حازم في منهاجه بمثابة المعلم الذي يرشد الشّعراء إلى قوانين صناعة الشّعر، لأنّ الموهبة وحدها غير كافية لحقيق ذلك".[2]

وفي سياق تحديده لماهية الشّعر أورد العديد من تعليلاته البلاغيّة التي بناها على مبدأ التّخييل الذي يعدّ قوام الشعريّة الحازميّة.

وحازم القرطاجني عالم من علماء العربيّة وُلد سنة 608 هـ واشتهر بنسبته إلى قرطاجنة؛ وكان عالماً بالعربيّة وقضايا الفقه والعلوم الحديثة، والعلوم الشّرعيّة واللغويّة. وشيخه أبو علي الشّلوبين الذي أخذ عنه جلّ علومه الفقهيّة والخطابة والشّعر. ومن تلاميذه: أبو حيان الأندلسي، وابن سعيد وأبو الفضل التجاني...[3]

وقد استطاع أن يضع منهاجاً للشّعر العربيّ يشمل معانيه ومبانيه وأساليبه؛ وبثّ في أطوائه استدلالاته المنطقيّة وتعليلاته البلاغيّة التي جاءت منبثقة من نظرته الخاصّة للشّعر؛ وانطلاقاً من هذه المقدّمات؛ فقد اخترنا هذا الموضوع الموسوم بـ: (التّعليل البلاغي عند حازم القرطاجني) في محاولة

لاستكشاف طريقته في التّعليل وتبلور هذا المفهوم في بلاغته التي حاولت تحويل العمل البلاغي من النّثر إلى الشّعر.

أهمّيّة البحث:

تتحدّد أهمّيّة هذه الدّراسة في كونها تتّسم بالجدّة والأصالة؛ فهي من أوائل الدّراسات التي تحاول الوقوف على ظاهرة التّعليل البلاغي في بلاغة حازم القرطاجني، كما أنّها وقفت على هذا المفهوم على وفق رؤية القرطاجني ونظريته الشّعريّة القائمة على التّخييل؛ وهذا ما شكّل توجّهاً جديداً في التّعليل البلاغي.

إشكاليّة البحث:

ينطلق البحث من سؤال رئيس مفاده: كيف تجلّى التّعليل البلاغي عند حازم القرطاجني؟

ويتفرّع من هذا السّؤال مجموعة من الأسئلة الفرعيّة، منها:

- ما مفهوم التّعليل البلاغي؟
- كيف تعامل القرطاجني مع ظاهرة التّعليل البلاغي؟
- ما أبرز العلل البلاغيّة التي أوردها القرطاجني في نظريته الشّعريّة؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، من أبرزها:

- بيان أهمّية ظاهرة التّعليل البلاغي في فهم البلاغة العربيّة.
- بيان دور حازم القرطاجني في بلورة ظاهرة التّعليل البلاغي.
- بيان أهم العلل البلاغيّة التي انطلق منها القرطاجني في تأويلاته البلاغيّة.

منهج البحث:

سيعتمد البحث المنهج الوصفي التّحليليّ الذي يقوم على رصد الظّاهرة المدروسة المتمثّلة بالتّعليل البلاغي وبيان كيفيّة حضورها في البلاغة الحازميّة من خلال الخطوات الآتية:

- أوّلاً تحديد ماهية التّعليل البلاغي وبيان نظرة حازم القرطاجنّي إليه.
- ثانياً تحديد نماذج للتّعليل البلاغي من خلال منهاج القرطاجني.
- ثالثاً دراسة تلك النّماذج دراسة تحليليّة تبيّن العلل التي اعتمدها القرطاجني في دراساته البلاغية.

خطّة البحث:

إنّ طبيعة البحث فرضت تقسيمه إلى مبحثين: الأوّل تنظيري يبيّن مفهوم التّعليل البلاغي والثّاني تطبيقي يبيّن تجلّيات هذه الظّاهرة عند القرطاجنّي:

المبحث الأوّل: مفهوم التّعليل البلاغي:

يتكوّن مفهوم التّعليل البلاغي من اجتماع لفظتَي: التّعليل / البلاغي، وفي سبيل بيان هذا المفهوم يمكن تناول كلّ من اللفظتين على حدة وبيان دلالتهما المعجميّو الاصطلاحيّة كما يأتي:

أوّلاً: التّعليل في اللغة والاصطلاح:

يحمل الجذر اللغوي (ع / ل / ل) دلالات متنوّعة؛ إذ إنّ العلّة تشي بمعنى المرض؛ وكذلك ذكر صاحب العين؛ فهي الشّربة الثّانية، ويقال لمن يحملها بأنّه معتلّ؛ أي مريض، وهي أيضاً حدث يلهي صاحبه[4]. فهي تشي بمعنى النّقص الذي يسمّى مرضاً. وقد أشار ابن فارس إلى هذه الدّلالة؛ وذكر غيرها؛ فذكر أنّ هذا الأصل اللغوي له ثلاثة معان؛ الأوّل يحمل معنى التكرير، والثّاني معنى الإعاقة، أي أن يكون الشّيء عائقاً، والثّالث معنى الضّعف أو النّقص. فيكون الأوّل الشّربة الثّانية، والثّاني أن يقال: عَلل بعد نهل، والثّالث العائق. وكذلك نقل ابن فارس أنّ العلّة حدث يشغل حامله عن غايته، فيكون معتلّاً، وهي المرض والاعتلال[5].

أي إنّ هذا الجذر اللغويّ يكتنف في مضامينه دلالات إصابة الشّيء بخلل يحيله إلى غير ما كان عليه.

أمّا في الاصطلاح فإنّ العلّة ليست كذلك؛ بل إنّها تشي بمعنى السّبب الذي أدّى إلى حدوث أمر؛ وبذلك فإنّ تعريفها ينطوي على هذه الدّلالة، فقد عرّفت بأنّها "تحويل في ما هو مصاب بالعلة إلى غير ما هي حاله".[6] أي إنّها ليست أصل في حاملها؛ بل أمر عارض عليه تحوّله من أصله إلى حالة جديدة. وبذلك تكون العلّة بمعنى العامل المغيّر أو المحوّل للشّيء الذي يسمّى معتلاً أو معلولاً.

وعليه، تكون العلّة ممثّلة لما يتحدد به كون الشّيء وهي ذات تأثير فيه.[7] أي إنّها السّبب في وجود الظّاهرة، إذ زالت العلّة زال المعلول. ويكون التّعليل ذكر العلّة.

وقد وردت العلّة في مختلف علوم وعرّفوها بأنّها الوصف الذي يُظن أنه السبب في الحكم الذي اتُخِذَ في ظاهرة معيّنة الذي يعكس وجه الحكمة في ذلك[8]؛ ومعنى هذا أنّ العلّة هي ما يشير إلى

تحقيق الحكم، فهي قرينته وإشارة إليه، وتمثّل المكوّن الذي يجمع بين طرفي القياس؛ بينما يكون التّعليل في النّحو تفسيراً لظواهر هذا العلم، ومحاولة لتحديد أسبابها التي خلقتها [9].

نخلص من كلّ ما تقدّم إلى أنّ العلّة تفسير وسبب لظاهرة أو حدث ما، ويكون التّعليل بذكرها وبيان وجهها.

ثانياً: البلاغة في اللغة والاصطلاح:

يدلّ الجذر اللغويّ (ب / ل / غ) على معنى الوصول والانتهاء، فيقال: "بَلَغَ الشّيءُ يَبْلُغُ بُلُوْغًا وَبَلَاغًا: وصلَ وانتهى؛ وأَبْلَغَهُ هُوَ إِبْلَاغًا، وبَلَّغَه تبليغًا. [...] والبَلاغَةُ: الفَصاحة. والبَلْغُ والبِلْغُ والبَلِيغ مِنَ الرّجال، ورجلٌ بَليغٌ، وبَلْغٌ وبِلغٌ: كُنْهُ ما في قلبه، والجمع بُلغاء، وقد بَلُغَ: (بالضّم) بلاغةً؛ أي: صار بليغًا. وقولٌ بليغٌ: بالغٌ، وقد بَلُغَ"[10]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخِيْ هَارُوْن هُوَ أَفْصَحُ مِنّيْ لِسَانًا﴾[11]. أي إنّه أكثر قدرة على التّعبير وأطلق لساناً. من هنا جاء المعنى الاصطلاحيّ للبلاغة؛ فهي "كل ما تبلغ به المعنى قلب السّامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[12]، أو هي "صفةٌ راجعةٌ إلى اللّفظ لاعتبار إفادته المعنى عند التّركيب"[13]، ويقول في موضعٍ آخر: فأمّا "بلاغة الكلام فهي: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[14].

وهذه التّعريفات على اختلاف صيغها تؤكد معنى البيان؛ أي أن يكون اللفظ معبّراً عن معناه بدقّة ويكون بذلك مطابقاً لمقتضى الحال.

ومن اجتماع هذين المصطلحين يتشكّل مفهوم التّعليل البلاغي؛ فيكون ذكراً للعلل البلاغيّة، أو بمعنى آخر يكون ذكراً للسّبب الذي يكسب القولَ بلاغته.

ثالثاً: أهمّيّة التّعليل البلاغيّ:

حظي التّعليل بمكانة مهمّة في علوم العربيّة؛ وقد نقل الزجاجي عن الخليل أهميّة التّعليل في دراسة العربيّة؛ إذ يقول: "إنّ العرب نطقت على سجيّتها وطباعها.. وقام في عقولها علله.. واعتللتُ أنا بما عندي أنّه علّة لما عللته منه فإن أكن أصبت العلّة فهو الذي التمستُ وإن تكن هناك علّةٌ له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء.. وقد صحّت عنده حكمة بانيها.. فكلّما وقف هذا الرّجل في الدّار على شيء منها قال إنّما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا.. وجائز أن يكون الحكيم الباني للدّار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدّار وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلّة إلّا أن ذلك

ممّا ذكره ذلك الرّجل محتمل أن يكون علّة لذلك فإن سنح لغيري علّة لما عللته من النّحو أليق ممّا ذكرته بالمعلول فليأت بها".[15]

فهو يبيّن قيمة التّعليل ومكانته في فهم حقيقة الشّيء المعلَّل، فعلّة الكلام العربيّ قائمة في عقول العرب الأقحاح؛ بمعنى أنّ كلّ الظّواهر اللغويّة في مختلف علومها لم توضع خبط عشواء، بل كانت لعلل دلاليّة أو بنائيّة أو معنويّة تحدد لِما جاء القول على هذه الصّورة دون غيرها. ويمكن أن نفهم من ذلك أنّ التّعليل ظاهرة تشمل كلّ علوم العربيّة ومن ثمّ كان لا بدّ من البحث عن حضور هذه الظّاهرة في مجال البلاغة.

وقد اشتهر التّعليل في علوم العربيّة وعلى الأخص في علم النّحو؛ إذ علّل علماء العربيّة الأوائل المسائل اللغويّة وحددوا أسبابها وكيفيّة وضعها، ويلاحظ على "تلك التّعليلات أنّها كانت مبسّطة لا تعقيد فيها، ولا تقوم على فرض أو جدل أو تخمين، وإنما تأتي على وفق ما ورد إلى مسامعهم من كلام العرب".[16]

وقد روي عنهم كثير من التّعليلات لعل أشهرها ما ورد عن أبي عمرو بن العلاء أنّه اعترض على قول أحدهم (جاءته كتابي)، فبيّن للقائل استغرابه لهذا القول، فكان جوابه أنّه أنّث الكتاب؛ لأنّ المقصود به الصّحيفة وهي مؤنّثة.[17]

فهذه الحادثة تمثّل تعليلاً لغويّاً يبيّن فيه علّة عدم المطابقة بين الفعل وفاعله في الجنس، وقد أدّى ذلك إلى استهجان السّامع، فلمّا بيّن العلّة؛ وضح القول. أي إنّ التّعليل أضفى على العبارة صحّة وبياناً وصارت مستساغة لدى المتلقّي.

أمّا في البلاغة؛ فقلّما الوقوف على علل بلاغة القول؛ وقد أشار الجرجانيّ إلى أنّ التّعليل البلاغي لا يقف عند حدود الظّاهرة؛ بل لا بدّ من بيان سياقها؛ إ يقول:

"وقد وقع في ظنون النّاس أنّه يكفي أن يُقال: إنّه قُدِّم للعناية، ولأنّ ذكره أهمّ من غير أن يذكر من أين أتت تلك العناية؟ وبِمَ كان أهم".[18]

فلا يكفي تحديد العلّة بالعناية أو الأهمّيّة؛ بل لا بدّ من تحديد مجال العناية وكيفيّة الوصول إلى هذه العلّة. وبذلك تكون بلاغة القول لعلّة مخصوصة تحقق استحسان القول؛ يقول أيضاً:

"لابدّ لكلِّ كلامٍ تستحسنه، ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعِلَّة معقولة، وأن يكون إلى العبارة عن ذلك سبيل وعلى صحّة ما ادّعيناه من ذلك دليل".[19]

فهو بذلك يشير إلى حضور التّعليل في سياق الدّراسات البلاغيّة؛ على أنّ "البلاغة لم تحظ بدراسة وافية حول التّعليل البلاغي وهو ميدان علم جديد يبتغي التّوقف عند البحث في العلل البلاغيّة مع إيماننا بأنّ هناك ثلاث توجهات بلاغيّة في التّعليل يمكننا أن نلحظها عند الجاحظ والجرجاني والقرطاجنّي بوصفهم ممثّلين لثلاث مدارس بلاغيّة".[20]

فالتّعليلات البلاغيّة تتفرّع إلى ثلاث توجّهات:[21]

- توجّه الجاحظ الذي عني بالتّأليف؛ ومن ثمّ فالعلل هنا هي علل التّأليف.
- توجّه عبد القاهر الجرجاني الذي كان يعنى بالحبك والتّداخل في نظرية النّظم، ولذلك فالعلل عنده هي علل التّعبير.
- توجّه حازم القرطاجني الذي كان يُعنى بالتّخييل؛ أي العناية بالمواءمة والإشارة، ومن ثمّ الاهتمام بالشّعر عبر تحريك النّفوس بالتّخييل، ولذا كانت العلل خاضعة لهذا التّوجه المعرفي عنده.

وانطلاقاً من أهميّة التّعليل البلاغي وحضوره اللافت لدى القرطاجني يمكن الوقوف على تجلّيات هذا الحضور من خلال المبحث الآتي.

المبحث الثّاني: تجلّيات التّعليل البلاغي عند القرطاجني:

أقام القرطاجني منهاجاً لدراسة الشّعر العربي في مبانيه ومعانيه وأساليبه؛ وانتهى إلى بناء نظرية شعريّة متكاملة؛ شكّلت صورة جديدة للبلاغة العربيّة؛ وقد بيّن في سياق ذلك العلل البلاغيّة وأهميّتها في بناء الشّعر وتحقيق ماهيته، ويمكن بيان ذلك من خلال ما يأتي:

أوّلاً: أهمّيّة التّعليل في بلاغة القرطاجني:

إنّ التّعليل البلاغي عند القرطاجني ينطلق من أساس يقول:

"وتحديد الحسن والقبح في البلاغة العربيّة له نظرات مختلفة باختلاف جهة النّظر، فقد يكون حسناً في مكان ما هو قبيح في مكان آخر، ويقبح في موضع ما هو حسن في موضع، ولا يحدد المرء على تلك الأماكن إلّا بالممارسة الطّويلة، ولا يبلغ المرء الوقوف على جمل من هذه الأماكن يمكنه استنباط الحكم بها ما سواها إلّا من خلال البحث والتّقصّي كثيراً عما ينبغي أن يعتمد في مختلف السّياقات

الصّناعة من تفضيل ما ينبغي أن يفضّل، واختيار ما ينبغي أن يفضّل من خلال اعتبار الأمر ذاته، أو أن ينظر إلى ما يرتبط به، أو إلى ما هو بعيد عن ذلك".[22]

فهو يبيّن أنّ المعيار في تعليل الظّواهر البلاغيّة يعود إلى السّياق الذي ترد فيه الظّاهرة أوّلاً وقبل كلّ شيء؛ ثمّ يشير إلى أنّ أهميّة البحث والاستقصاء في تحديد علل الظّواهر البلاغيّة، فلا يمكن تقنينها من دون الإحاطة بسياقاتها الدّلاليّة، وهذا يرتبط بالسّياق اللغوي والسّياق المقامي والسّياق النّفسي؛ فهذه السّياقات المختلفة قد تكون عللاً لظواهر بلاغيّة معيّنة جيء بها لتعبّر عن معنى مخصوص في سياق مخصوص.

والواقع أنّ بلاغة حازم كان نقطة تحوّل في تاريخ البلاغة العربيّة؛ إذ "كان موضوع البلاغة قائماً على وجوه الإعجاز في القرآن الكريم قبل القرن السّابع للهجرة إلى أن جاء حازم القرطاجني فعمد إلى تغيير وجهتها تغييراً تامّاً حيث حولها من مجال البحث في النّثر إلى مجال البحث في الشّعر فخالف بذلك كلّ الذين سبقوه حتّى أرسطو".[23]

فقد أراد القرطاجني أن يخرج بالبلاغة إلى بلاغة القصيدة العربيّة وما تتألّف منه من ألفاظ ومعان وبحور وقواف.[24]

فالبلاغة عنده صناعة "يكون النّظر في صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدّال على الصّور الذّهنيّة في نفسه ومن جهة ما يكون عليه بالنّسبة إلى موقعه في النّفوس ومن جهة صياغته ودلالته، ومن جهة ما تكون عليه تلك الصّور الذّهنيّة في أنفسها، ومن جهة مواقعها في النّفوس ومن جهة هيأتها ودلالتها على ما هو خارج الذّهن ومن جهة ما تكون عليه في أنفسها الأشياء التي هي تلك المعاني الذّهنيّة صور لها وأمثلة دالّة عليها ومن جهة مواقع تلك الأشياء في النّفوس".[25]

ولمّا كانت البلاغة كذلك؛ فإنّها لم تعد مادّة لغويّة فحسب؛ بل إنّها ذات أبعاد نفسيّة تكشف عن العلاقة الوطيدة بين النّص والمتلقّي؛ وتبيّن أهمّيّة التّأويل والتّعليل في فهم المعنى؛ وتحدد مكانة المقام في البلاغة؛ إذ "تنطلق البلاغة من مسلّمة مفادها أنّ المعنى يحصل بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، وإذا كان الكلام كلّ ما يتلفّظ به المتكلّم لبلوغ غاية معينة، وكان مقتضى الحال هو جملة الاعتبارات التي اقتضت صياغة الكلام على صورة تركيبيّة معيّنة، كان موضوع البلاغة تحليل ما يشتغل عليه القول من اعتبارات مقاميّة".[26]

ومن ثمّ كانت بلاغة حازم "بلاغة وصفيّة وتاريخيّة وتأويليّة تعكس صورة نقديّة وهي تلقي الشّارح للنّص ومؤهّلة لتكوين أسس نظريّة تداوليّة النّص".[27]

وعليه؛ تعددت العلل البلاغيّة التي فسّر بها القرطاجني الظّواهر البلاغيّة، ويمكن بيان أبرزها من خلال ما يأتي:

ثانياً: العلل البلاغيّة عند القرطاجني:

تنوّعت العلل البلاغيّة التي وردت في بلاغة حازم؛ وقد جاءت في سياق نظريته الشّعريّة التي بناها على مبدأ التّخييل؛ فكان هذا المبدأ من أهم العلل البلاغية لديه؛ وأبرزها:

- **علّة التّخييل:**

حدد القرطاجني الشّعر بناء على مبدأ التّخييل؛ فجعله علّة للقول الشّعريّ؛ إذ يقول: "فما كان من الأقاويل القياسيّة مبنيّاً على تخييل وموجودة فيه المحاكاة فهو يعدّ قولاً شعريّاً".[28] فهو يحدد ماهية الشّعر بتحقق عنصر التّخييل؛ فالقول المباشر والحقيقيّ ليس قولاً شعريّاً؛ وإن اشتمل على وزن وقافية؛ وشرح ذلك مبيّناً أنّ الكلام يكون شعريّاً إذا جاء بمقدّمات يلفّها الكذب؛ والكذب هنا يكون فنّيّاً؛ أي قائماً على التّخييل وليس المقصود الكذب الأخلاقي. فالمعتَد به هنا التّخييل، فأينما ورد يكون الشّيء شعريّاً، فالمعيار التّخييل وليس مقياس الصّدق أو الكذب.[29]

فهو يبيّن أنّ علّة الشّعر تخييله؛ أي بمدى مفارقته للحقيقة. وبذلك يكون أجمل الشّعر أكذبه؛ والكذب هنا بمعنى التّخييل.

- **علّة الغرابة:**

تمثّل الغرابة علّة بلاغيّة لدى القرطاجني؛ إذ يشير إلى أنّ الغرابة علّة من علل شعريّة القول؛ فيكون الكلام شعريّاً بمدى غرابته وخروجه عن المألوف؛ فالاستغراب يمثّل حالة نفسيّة تعبّر عن ردّة فعل النّفس تجاه ما تتلقّاه؛ وهذه الحركة تكسب الكلام صفة الشّعريّة؛ وغرابة الكلام تعتمد على قوّة تخييله؛ ومن ثمّ فإنّ الشّعر الجيد هو ما حسنت هيئة محاكاته؛ وأسوأ الشعر ما قبحت محاكاته؛ فيكون كذبه ظاهراً، ولا غرابة فيه وهذا يخرجه من باب الشّعر.[30]

فهو يحدد جماليّة الشّعر بمدى غرابته؛ ولعلّ هذه العلّة متفرّعة من سابقتها؛ فأساس الغرابة قوّة التّخييل.

- **علّة حسن المحاكاة:**

وهي علّة تتحدد بمدى تطابق الماكاة وصلاحها بين طرفيها؛ إذ يقول القرطاجني:

"ومن التذاذ النّفس بالتخييل أنّ التّصوير القبيح عندما قد تكون صورها المحاكية لها بمختلف الحالات من خط أو نقش أو نحت لذيذة إذا حقّقت أقصى غايات المشابهة بما هي أمثلة له، فيكون مكانها من النّفس مستلذّاً ليس لأنّها جيّدة في ذاتها، بل لأنّها حسنة المحاكاة لما حوكي بها عند قياسها عليه".[31]

وهذه علّة أخرى تتفرّع من مبدأ التّخييل؛ فعند عقد التّشبيه بين شيئين؛ فإنّ صلاح طرفي التّشبيه لإقامة علاقة المشابهة علّة من علل حسن المحاكاة؛ فكلّما استطاع الشّاعر أن يطابق بين الطّرفين ويوقعهما على بعض كان المحاكاة حسنة وبليغة.

- **علّة المعنى:**

يمثّل المعنى علّة للظّواهر البلاغيّة؛ من ذلك قول حازم في سياق بيان اهتمام العرب بالمعنى؛ فهم يقدّمون ما هو أقرب المعاني في بعض السّياقات بما يتناسب مع المقصود؛ "فيذكره أوّلاً؛ ويكون ذلك لأنّه الأقل من ناحية ما هو مذكور قبله، وهو أجلّ منه؛ أو يكون أحدهما شاملاً الآخر؛ ويظهر أنّه ضمن الآخر من باب التّخييل؛ فيكون ذلك من باب المعنى. فذكر الأقل يفيد المعنى ويحقّق بلاغة القول؛ لأنّ إنكاره يشي بإنكار الكثير، ولذا فتقديمه يؤكد المعنى ويحقق بلاغة الكلام؛ وهو يدلّ على حجود الكثير ما دام منكراً للقليل؛ أي إنّه يضاعف دلالة المعنى ويقوّيها.[32]

فهو يعلّل بلاغة القول بدلالته على المعنى؛ فذكر القليل هنا سابقاً للكثير كان علّة لبلاغة القول؛ فهو أبلغ في التّعبير عن معنى الجحود المراد التّعبير عنه.

- **علّة النّظم:**

تمثّل هذه العلّة واحدة من العلل البنائيّة التي تحدد طريقة النّظم بوصفها علّة لبلاغة القول؛ وقد أشار القرطاجني إلى النّظم وحدد ماهيته وآليته؛ فقال:

"النّظم صناعة آلتها الطّبع والطّبع هو استكمال للنّفس في فهم أسرار الكلام والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشّعري أن ينحا نحوها. فإذا أحاطت بذلك علماً قويت على صوغ

الكلام بحسبه عملاً، وكان النّفوذ في مقاصد النّظم وأغراضه وحتّى التّصرّف في مذاهبه وأنحائه، وإنّما يكونان بقوى فكريّة واهتداءات خاطريّة فيها أفكار الشّعراء".[33]

فالنّظم علّة بلاغة القول وهو ينطلق من صحّة الطّبع؛ فهو يحدد السّياق النّفسي بوصفه أساساً لجودة النّظم الذي يحدد بلاغة القول؛ أي إنّه "يضع النّظم في مقابل الأسلوب، لأنّ الأسلوب مختصّ عنده بالتّأليفات المعنويّة، أمّا النّظم فمختصّ بالتّأليفات اللفظيّة".[34]

- **علّة الإيجاز:**

تنطلق البلاغة العربية من دلالة رئيسة تحدد بلاغة القول في إيجازه؛ وقد بيّن القرطاجني أنّ الإيجاز علّة بلاغة القول؛ إذ يرى أنّ القول إذا كان متقطّعاً وأجزاؤه متفكّكة ومنبترة، فإنّه يفقد قيمته الجماليّة وهذا يخرجه من البلاغة، وكذلك إذا كان القول طويلاً فإنّه يصير مملّاً وهذا يخرجه من البلاغة أيضاً؛ فيكون فيه حشو وزيادة لا فائدة منها.[35]

فيكون الكلام بليغاً بمدى إيجازه في تعبيره عن المراد؛ فلا يكون مقصّراً عن المعنى، ولا زائداً عليه؛ ومدى التّطابق بين القول ومضمونه يحدد بلاغة القول؛ فهو يحدد القول البليغ باتزانه وإيجازه؛ فلا يكون مقصِّراً عن المعنى؛ ولا مطوّلاً يستدعي الملل.

الخاتمة:

هكذا نرى من خلال ما تقدّم أنّ التّعليل البلاغي لم يكن ظاهرة عابرة في بلاغة القرطاجني؛ بل كان محوراً رئيساً في منهاجه؛ فكان يعلل آراءه البلاغيّة ويبيّن مذهبه في مختلف القضايا؛ ويمكن تلخيص نتائج البحث بما يأتي:

- برز التّعليل البلاغي بوصفه ظاهر مهمّة في علوم العربيّة؛ إذ اتّخذ توجّهات متعددة؛ منها ما قام على التّأليف؛ ومنها ما قام على النّظم، ومنها ما قام على التّخييل. وتنوّع هذه التوجّهات يشي بمدى اهتمام بلاغيي العربيّة بهذا الجانب.
- اهتمّ القرطاجني في بناء نظريته الشّعريّة بالتّعليل البلاغي؛ إذ حدد حسن القول وقبحه بناء على سياق وروده وطريقة تركيبه؛ ذاكراً علّة بلاغة الشّعر في بنائه ومعانيه وأساليبه.

- علّل القرطاجني كثيراً من الظّواهر البلاغيّة وكان أبرزها ما يتّصل بتحقيق شعريّة النّص؛ وقد شكّل مبدأ التّخييل عنصراً رئيساً في بلاغته وتعليلاتها؛ فكان أبرز العلل البلاغيّة التي تفرّعت منه علل أخرى؛ مثل علّة حسن المحاكاة، وعلّة الغرابة، وعلل أخرى مثل علة الإيجاز وعلّة المعنى.

الهوامش:

(1) ولد حازم القرطاجني في قرطاجنة في الأندلس عام 1211م وتوفي في تونس عام 1284م. وهو أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجني. أهم كتبه المنهاج، وكان شاعراً وله ديوان شعر صغير .Org.com . WWW.Wikipedia

(2) كلاتمة، خديجة، الاستدلال في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2011 م، ص 42. ينظر أيضاً: قوراري، تسعديت، المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، إنجاز الجاحظيّة، الجزائر، د. ت، ص 9.

(3) ينظر: المدخل من المنهاج، القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء، ص 52 إلى 69.

(4) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج1، مادة (علل).

(5) ابن فارس القزويني، أحمد، (1979)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دمشق: دار الفكر، ج4، ص12 – 16.

(6) منازل الحروف، 67.

(7) التّعريفات: 154.

(8) أبو شريف، علي سلامة، 2012م، العلّة النحوية (تحليل النحاة لبناء وتركيب كلام العرب، دراسة وصفية في كتاب المقاصد الشافية للإمام الشاطبي)، ط1، الرياض: دار الزهراء، ص87.

(9) الكندي، خالد بن سليمان بن مهنا، 2007م، التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث، ط1، الأردن: دار المسيرة، الأردن، ص125.

(10) ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج5، مادة: بلغ.

(11) القصص: 34.

(12) العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، ص 16.

(13) الخطيب القزويني، محمد بنعبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص 20

(14) الخطيب القزويني، محمد بنعبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 20.

(15) الزّجاجي، الإيضاح في علل النّحو، تحقيق: مازن المبارك، بيروت، دار النّفائس، ط 5، 1986م، ص65.

(16) أسلوب التّعليل وطرائقه في القرآن الكريم: ص 29.

(17) الخصائص: ج1، ص149.

(18) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1992 م، ص31.

(19) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1992 م، 278.

(20) شبيب، مهند، التّعليل البلاغي في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دراسات، العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، مج 47، ع 2، 2020 م، ص83.

(21) ينظر: شبيب، مهند، التّعليل البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، ص 82.

(22) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء، ص 78.

(23) لزعر، عز الدّين، مصطلح البلاغة عند حازم القرطاجني، مجلّة اللغة العربيّة، مج 23، ع 1، 2021 م،ص 485.

(24) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق / الحبيب بن خوجة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 2008 م، ص 91.

(25) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق / الحبيب بن خوجة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 2008 م، ص 70.

(26) كلاتمة، خديجة، الاستدلال في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2011 م، ص 35.

(27) بليش، هنري، البلاغة والأسلوبيّة، دار أفريقيا الشّرق، المغرب، ط 1، 1999 م، ص 29.

(28) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق / الحبيب بن خوجة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 2008 م، ص 67.

(29) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق / الحبيب بن خوجة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 2008 م، ص 71.

(30) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق / الحبيب بن خوجة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 2008 م، ص 71 _ 72.

(31) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق / الحبيب بن خوجة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 2008 م، ص 116.

(32) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق / الحبيب بن خوجة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 2008 م، ص 103.

(33) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق / الحبيب بن خوجة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 2008 م، ص 199.

(34) لزعر، عز الدّين، مصطلح البلاغة عند حازم القرطاجني، مجلّة اللغة العربيّة، مج 23، ع 1، 2021 م، ص 488

(35) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق / الحبيب بن خوجة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 2008 م، ص 65.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (د. ت.)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، القاهرة: المكتبة العلمية، ج1، ص173.

2- ابن فارس القزويني، أحمد، (1979)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دمشق: دار الفكر، ج4،

3- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، ط 2، د. ت.

4- أبو شريف، علي سلامة، العلة النحوية (تحليل النحاة لبناء وتركيب كلام العرب، دراسة وصفية في كتاب المقاصد الشافية للإمام الشاطبي)، ط1، الرياض: دار الزهراء، 2012م.

5- بليش، هنري، البلاغة والأسلوبيّة، دار أفريقيا الشّرق، المغرب، ط 1، 1999 م،

6- الجرجاني، الشّريف، معجم التّعريفات، تحقيق: محمد المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د.ت،

7- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1992 م،

8- الجنابي، يونس عبد مرزوق، 2004م، أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم (دراسة نحوية)، ط1، ليبيا: دار المدار الإسلامي، ليبيا،

9- الخطيب القزويني، محمد بنعبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003،

10- الزّجاجي، الإيضاح في علل النّحو، تحقيق: مازن المبارك، بيروت، دار النّفائس، ط 5، 1986م،

11- شبيب، مهند، التّعليل البلاغي في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دراسات، العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، مج 47، ع 2، 2020 م،

12- العسكري، كتاب الصّناعتين، تحقيق: هلي البجاوي ومحمد إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، 1986.

13- العين / الخليل (ت 175 هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السّامرّائي، دار الرّشيد، بغداد، 1980م،

14- القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق / الحبيب بن خوجة، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 2008 م،

15- قوراري، تسعديت، المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، إنجاز الجاحظيّة، الجزائر، د. ت.

16- كلاتمة، خديجة، الاستدلال في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2011 م.

17- الكندي، خالد بن سليمان بن مهنا، 2007م، التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث، ط1، الأردن: دار المسيرة، الأردن.

18- لزعر، عز الدّين، مصطلح البلاغة عند حازم القرطاجني، مجلّة اللغة العربيّة، مج 23، ع 1، 2021 م،

19- منازل الحروف، الرّماني (ت 384 هـ)، تحقيق: إبراهيم السّامرائي، دار الفكر، عمان، د. ت.